

التبيان في تفسير القرآن

(65) سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (181) - آية
بلاخلاف - . قرأ حمزة وحده (سيكتب) بضم الياء. الباقيون بالنون. ذكر الحسن وقتادة: أن
الذين نسبوا إلى تعالى إلى الفقر وأنفسهم إلى الغناء هم قوم من اليهود لما نزل قوله: (من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (1) قالوا إنما يستقرض الفقير من الاغنياء، فهو فقير ونحن
اغنياء، والقائل لذلك حي بن أخطب وفتحاص اليهودي. وقال أبو علي الجبائي: هم قوم من
اليهود، وإنما قالوا ذلك من جهة ضيق الرزق. وقيل: انهم قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم
لأنهم اعتقدوا أن الله فقير على الحقيقة. وقيل: انهم عنوا بذلك إله محمد الذي يدعي أنه
رسوله دون من يعتقدون هم أنه على الحقيقة. فان قيل: كيف الحكاية عنهم بأنهم قالوا ذلك،
وإنما قالوه على جهة الالتزام دون الاعتقاد؟ قلنا: لانه إلتزام باطل من حيث لا يوجبه الاصل
الذي ألزموا عليه، لانه إنما قال تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) على وجه التلطف
في الاستدعاء إلى الطاعة، وحقيقته أن منزلة ما ينفقون في وجوه البر كمنزلة القرض الذي
يرجع إليكم ويضاعف به الاجر لكم مع أنهم أخرجوا ذلك مخرج الاخبار عن الاعتقاد. وفي الآية
دلالة على أن الرضا بقبيح الفعل يجري مجراه في عظم الجرم، لان اليهود الذين وصفوا بقتل
الانبياء لم يتولوا ذلك في الحقيقة، وإنما ذموا به، لانهم بمنزلة من تولاه في عظم الاثم.
وقوله: (سنكتب ما قالوا) قيل في معناه قولان: أحدهما - انه يكتب في صحائف أعمالهم، لانه
أظهر في الحجة عليهم وأجرى ان يستحيوا من قراءة ما أثبت من فضائهم - على قول الجبائي
- . _____ (1) سورة البقرة: آية 254 وسورة الحديد: آية 11.